

الفلسفة والطب، مثل مدرسة دير قوني التي كان يدرس فيها الفيلسوف أبو بشر متى بن يونس، والذي من جملة من درس على يديه أبو نصر الفارابي. وبعضها الآخر كانت تدرس مبادئ الطب والصيدلة المتعلقة بطب الأعشاب مثل مدرسة جنديسابور التي تولاها الأطباء السريان في القرن السابع. وكان تأسيس أول مستشفى في المشرق على يد آل بختيشوع في هذا القرن نقطة تحول في الطب السريري في العالم العربي، مما شجع على قيام بيمارستانات عربية.

ولنلق نظرة على أهم المباحث التي تناولها الكتاب:

- ١- ما هي المسيحية.
- ٢- أصول قوانين نيقية لتثبيت معالم المسيحية.
- ٣- تنظيم الكنيسة.
- ٤- الانفصال بين روما والقسطنطينية.
- ٥- ما الذي جعل الاسلام مختلفاً؟
- ٦- المسيحيون في العالم العربي المعاصر.

إن هذه المباحث تشمل نمو المسيحية ومشكلاتها التي حدثت تحت جناح الرومان في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وتحت سيطرة الفرس في العراق وميشان والخليج العربي. ومن خلال هذه المباحث المعقدة في مشكلاتها، استطاع المؤلف الفاضل ببراعة ولغة واضحة أن يقدم لنا بإيجاز وبشكل مكثف مجريات الأمور التي حدثت خلال القرون العديدة من خلافات مذهبية وانقسامات حتى الوقت الحاضر. يرى المؤلف أن عدد المسيحيين في المشرق العربي لا يتجاوزون العشرة ملايين نسمة. ونعتقد أن الإحصائيات التي اعتمدها تقديرية وليست دقيقة، لأن الدول العربية لا تنشر إحصائيات عن عدد نفوس الأقليات الدينية والإثنية في بلادها، بل تحتفظ بها لأن معظم الدول العربية لا تهتم بالأقليات، مما سبب ضياع لغتها وكثيراً من تراث ثقافتها. ففي العراق مثلاً يرى المؤلف أن المسيحيين يبلغ عددهم نصف مليون، والحال أنهم يقربون من المليون.

وعلى أية حال فإن المسيحيين على الرغم من كونهم أقلية في معظم أقطار المشرق العربي -عدا لبنان- إلا أنهم يكونون مجتمعاً فعالاً ونشطاً يتحدى المصاعب وينزع إلى العلم والثقافة والحرية والتحرر، ويلعب دوراً في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في أي بلد عربي. ويشترك المسيحيون كمهندسين ومؤلفين وأساتذة، وبعضهم كانوا وزراء ومستشارين في وظائف تعتبر مفاتيح رئيسية في مآكنة الدولة. ونعطي مثلاً على التحدي هو بقاء معظم المسيحيين في العراق ملتصقين بلغتهم السريانية الشرقية منذ القرن الثاني وحتى الوقت الحاضر، يغذونها بالتحديث إلى أطفالهم ويعلمونهم الصلوات والحكم والأمثال باللغة السريانية، وتساعدهم في ذلك الكنيسة الشرقية.

وقد تميز العقدان الأخيران بصحوة جديدة تمثلت في العودة إلى الجذور السريانية وظهور مؤلفات متميزة من بينها أدب اللغة الآرامية وتاريخ الكنيسة الشرقية لأبير ابونا، وكتاب ينابيع الذي أصدره مركز الأبحاث الشرقية في أنطلياس، وأبحاث المؤتمر السرياني التاسع والمؤتمر الحادي عشر، والدراسات التي أصدرتها هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي، وكتاب المسيحية والعرب لنيقولا زيادة وغيرها. أما الترجمة من السريانية إلى العربية فقد نشطت أيضاً، وأبرز الترجمات تاريخ ميخائيل الكبير، وتاريخ يوحنا الأفسسي، وتاريخ الرهاوي المجهول وغيرها، بالإضافة إلى عشرات الكتب المؤلفة والمترجمة في سوريا.

كنا نود أن يقدم لنا الكتاب لمحة موجزة عن المجتمع المسيحي في المملكة الأردنية الهاشمية وتاريخه معززا بالأرقام والإحصائيات الدقيقة التي يمكنه ولا شك الحصول عليها. كما كنا نرجو أن يحدثنا عن تطور العلاقات المعاصرة بين المسيحية الشرقية والإسلام في العالم العربي.

* أستاذ وباحث عراقي في التاريخ.